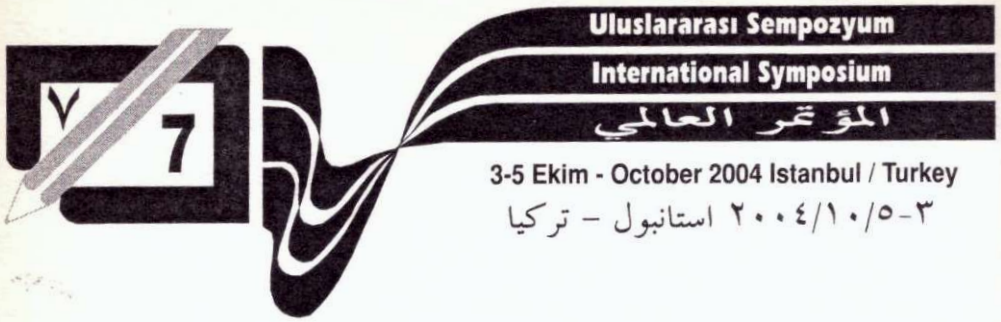

المؤتـــمر العالمي الســـابع
لبديع الزمان سعيد النورسي

ممارسة حياة ايمانية فاعلة

في سلام ووئام في عالم متعدد الثقافات
من خلال رسائل النور

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م
Ekim 2004
الترقيم الدولى
ISBN: 975-269-043-2
شركة نسل للطبع والنشر والتوزيع

المسلمون والعلاقات الإنسانية
في ضوء كليات رسائل النور

أ.د. أحمد عبد الرحيم السايح

القاهرة

إن الباحث في معالم كليات رسائل النور للإمام بديع الزمان سعيد النورسى يعلم: أن الإنسان في التصور الإسلامي قمة الكائنات الحية التي تعيش على وجه البسيطة، وأفضلها وأكرمها. لما أودعه الله فيه من مزايا، وميزه من صفات.

وبداية لابد أن ندرك: أن الثقافات العالمية بدأت تتلاقى. نتيجة ثورة وسائل الاتصال والانتقال.

فالجهل المتبادل بالآخر على مستوى العالم لم يعد قائما..

كما أن الحواجز بين الشعوب والثقافات سقطت.

وصار الناس في أجزاء مختلفة من العالم يتعرفون على بعضهم فيكتشفون أوجه الاختلاف والاتفاق.

كذلك هناك الإحساس المتبادل بين المجتمعات الإنسانية بوجود أخطار مشتركة على العالم كله. تتجاوز حدود الثقافات، والعقائد الدينية، والقوميات. مثل العنف في العالم، ونفاد الموارد خصوصا المياه، وتدمير البيئة نتيجة الإسراف في التصنيع[1].

وقد لا يخفى: أن الحياة الإنسانية المعاصرة. تشكل في الواقع إحدى السمات للعصر الحاضر.

فالنمو المتصاعد للثقل النوعي للبلدان النامية في الاقتصاد العالمي، وفى السياسة الدولية، ونهضتها الثقافية التجديدية. سواء المرتبطة بتعرفها خصائص الثقافة العالمية وقيمها. أو بتنشيط التراث الثقافي لهذه البلدان وإحيائه مجددا، والتأثيرات المتسارعة لمنجزات الثورة العلمية التقنية.

وعمليات الهجرة إلى قارات ومجتمعات أخرى, وتطور وسائل المعلومات، والاتصال الجماهيري. والسياحة العامة على نطاق جماهيري. كل هذه المعطيات غيرت وجه العالم، وغيرت رؤية الناس، وإدراكهم لهذا العالم الجديد أيضا.

وبالإضافة إلى ذلك: فإن تطور العلم الذي أسهمت فيه العلوم الإنسانية إسهاما كبيرا. خاصة في ميادين: التاريخ، والأثنوغرافيا، والأنثروبولوجيا، وعلم النفس. أغنى كثيرا الرصد العقلي للإنسانية جمعاء. بحيث ساعد بدوره على تكون نمط جديد من التفكير، وظهور أساليب وطرق متجددة مبدعة في دراسة الكون ومشكلاته العامة من زاوية إنسانية شمولية[2].

وقد لا يخفى على باحث أن: ابتعاث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان منعطفا تاريخيا في حياة الناس جميعا، وتحولا حضاريا متميزا في نهج حياتهم وتعاملهم.

تحول الخطاب فيه من قومية الأديان، ومحدودية مقاصدها، إلى عالمية الإسلام وشمولية دعوته، وتكامل مقاصده، ومن عزلة المجتمعات البشرية، وتضادها، وتصارعها إلى وحدة الأسرة البشرية، وتعاون مجتمعاتها.

حيث سمع الناس لأول مرة في تاريخهم الإنساني. فكرة المجتمعات الإنساني الواحد. كما سمعوا أيضا لأول مرة فكرة. التعايش السلمي بينهم. من غير تمايز بينهم على اختلاف أقوامهم، وأجناسهم، وأعراقهم، وأديانهم، وأوطانهم[3].

وكان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعمل على نشر الإخاء الإنساني. الذي يتجاوز المسلمين إلى غير المسلمين. لذا نجد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعقد مع اليهود حلفا أساسه التعاون على الخير، وحماية الفضيلة، ودفع الأذى، وحماية المدينة. من كل اعتداء، ومنع الظلم، وردع المجرمين العابثين بالأمن. وأكد النبى صلى الله عليه وسلم ذلك بالمواثيق.

والإسلام الحنيف لا يكتفي بمحو أسباب التفرق، والنزاع بين الناس. بل يدعو إلى التسامح العام. لأن التسامح يداوى القلوب المكلومة، ويجتذب النفوس النافرة.

فالإسلام منهج الناس جميعا، ومقاصده لخيرهم وفلاحهم، وخطابه لهم على اختلاف أقوامهم، وأجناسهم، وأعراقهم، وأديانهم.

يقول الإمام النورسى: "أن لكل أحد علاقات بالمحبة والشفقة مع أقاربه ثم مع أفراد عشيرته، ثم مع أفراد ملته، ثم مع أفراد نوعه، ثم مع أبناء جنسه، ثم مع أجزاء الكائنات. بحيث يمكن أن يتألم بمصائبهم، ويتلذذ بسعادتهم، وإن لم يشعر[4].

إذن الإسلام تحول حضاري شامل ينتقل بالناس من ضيق القوميات، والأعراق، والأجناس، إلى سعة الأسرة البشرية، وتعاون مجتمعاتها، في إطار منهجية المجتمع الإنساني الواحد، وفى إطار منهج التعاون بين الناس جميعا على أساس من قيم ربهم[5].

ولا شك أن للغرب وحضارته علاقات ولقاءات بالمسلمين وحضارتهم على مدى التاريخ.

وقد يكون مفهوما لدى الباحثين: أن المصالح الاقتصادية، والعلمية، والتقنية. تتداخل لدرجة أن المصالح السياسية أحيانا تبدو متشابكة، بل ومشتركة في بعض الميادين.

ومما لا يخفى: أن الإسلام قدم نظرة شاملة للكون، والحياة، والإنسان. وأن هذه النظرة تبقى أساسية، وصالحة للبشر في كل زمان ومكان.

وهذه النظرة تشمل الأخلاق، والاقتصاد، والاجتماع، والسياسة، ومن هذه المنطلقات قامت الحضارة الإسلامية على مبدأين مهمين: هما التغيير، والاستشراف.

ولعل فواتح كتب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى إمبراطور الروم، وكسرى – فارس توضح هذين المبدأين.

فقد جاء في رسائل الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد المقدمة: **[قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله] [سورة آل عمران. الآية رقم 64]**.

وهذه الآية الكريمة جاءت لتقرر مبادئ إسلامية في علاقات المسلمين بالغرب والشرق، وكل الناس.

ـــ مبدأ الاعتراف بالآخرين.

ـــ مبدأ الحوار وأهميته.

ـــ مبدأ احترام المشيئة الذاتية لدى الآخر.

ـــ مبدأ استشراف المستقبل في ظل علاقات إنسانية سامية.

ولهذا نرى الإمام بديع الزمان سعيد النورسى يقول: "أوربا النافعة بما استفاضت بين النصرانية الحقة، وأدت خدمات الحياة الإنسانية الاجتماعية. بما توصلت إليه من صناعات وعلوم تخدم العدل والإنصاف"[6].

وفى تاريخ التفاعل المتبادل بين الشرق الإسلامي والغرب. لعبت العلاقات الإسلامية المسيحية دورا خاصا.

فالمسيحيون والمسلمون على حد سواء. كانوا يتصفون دائما بإدراكهم الرابطة الروحية المشتركة ـــ وإن كانت محدودة الأبعاد ـــ وفى الوقت نفسه كانوا يدركون الاختلاف الجوهري بالنسبة لخبراتهم في المجال الثقافي الأيدلوجي.

وبدءاً من انتشار الإسلام، ونشوء الخلافة الإسلامية. ظهر التضاد الديني: "الأيديولوجية بين الغرب والمشرق العربي". ولكن عملية التواصل الثقافي بين الإسلام والغرب لم تنقطع كليا[7].

وإذا كان الإسلام يدعو إلى الحوار مع غير المسلمين، واللقاء بالغربيين. فقد كان هناك لقاء عملي تم بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي. من خلال المؤسسات العلمية التي قامت في الأندلس.

حيث جاء أبناء الغرب من الجزر البريطانية، ومن فرنسا، وألمانيا، والأراضي المنخفضة وغيرها. يأخذون عن المسلمين علومهم، وعادوا بها إلى بلادهم. حيث استطاع الغرب بذلك أن يؤسس نهضة صناعة وزراعية.

وقد أرسل الملك "جورج" ملك بريطانيا. وفدا من بنات الأشراف الإنجليز مكونا من ثماني عشرة فتاة برئاسة ابنة أخيه الأميرة: "دوبونت".

ورافق الوفد أحد كبار موظفي القصر الملكي البريطاني هو النبيل "سيف ديك" ومع الوفد هدية ثمينة للخليفة.

وجاء في رسالة الملك جورج إلى الخليفة الأموي بالأندلس بعد مقدمة ودية: "لقد سمعنا عن الرقى العظيم. الذي تتمتع بفيضها الصادي. معاهد العلم، والصناعات. في بلادكم العامرة. فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل. لتكون بداية في اقتفاء آثاركم لنشر أنوار العلم في بلادنا.

وقد أرسلنا ابنة شقيقنا الأميرة (دوبونت) على رأس بعثة من بنات الأشراف الإنجليز. لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم، وحماية الحاشية الكريمة، وعطف اللواتي سيتوفرن على تعليمهن.

"وقد أرفقت الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة، لمقامكم الجليل، وأرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص".

وعند وصول البعثة. أمر الخليفة باستضافة جميع أعضائها، والمرافقين في قصره وإحاطتهم بكامل الضيافة، وتخصيص نفقة مالية لكل منهم من بيت مال المسلمين.

وبعث الخليفة هشام السادس آخر الخلفاء الأمويين في الأندلس بخطاب جوابي إلى الملك البريطاني جاء فيه:

"لقد أطلعت على التماسكم فوافقت على طلبكم بعد استشارة من يعنيهم الأمر. أما هديتكم فقد تلقيتها بسرور زائد، وبالمقابلة أبعث لكم بغالي الطنافس. وهى من صنع أبنائنا وهدية لحضرتكم. وفيها المغزى الكافي للتدليل على اتفاقنا ومحبتنا والسلام"[8].

والمتأمل ـــ أعماقا وأبعادا ـــ في علاقة المسلمين بغيرهم. يجد أن المسلمين عندما شعروا بالتأخر الذي أصاب بلادهم بعد سقوط الخلافة العثمانية، وجدوا أن الفرصة مناسبة لتعلم علوم الغرب. ولذا كانت هناك محاولات تطويرية قامت في مصر على يد محمد على، وامتدت بعد ذلك إلى كثير من بلاد المسلمين.

وقد سافر بعض الشبان المسلمين إلى أوروبا، وأخيرا إلى أمريكا. لطلب العلم حيث استطاع كثيرون أن يكتسبوا علوما، ونظما، وطرائق، في مجالات الفيزياء، والكيمياء، والرياضيات، والطب، والتربية، والإدارة، والعلوم الإنسانية، وعادوا إلى بلادهم يدعون إلى التقدم في مجالات الطب، والزراعة، والصناعة، والتعليم، والتنظيم الإداري[9].

ومن المسلم به: أن علاقة المسلمين بغيرهم هي علاقة إنسانية. تدفعها الرغبة في العيش الكريم، والسلام الشامل، بين جميع الناس.

ولقد اعتبر الإسلام الإنسان هو المخلوق المكرم على سائر مخلوقات الله. وتكريم الله للإنسان يبدو واضحا جليا، ويصحب الإنسانية كلها منذ أبيها آدم، وسيظل معها في مسيرتها.

وهذا التكريم يشمل جوانب هذا المخلوق كلها. حيث خلقه الله في أحسن صورة، وأكمل هيئة، ثم كان ترشيحه ليكون خليفة في أرض الله يعمرها، ويستخرج كنوزها، ويظهر فضل الله على عباده فيها.

يقول الإمام النورسي ـــ رحمه الله: "إن مقام الإنسان الراقي وتفوقه على سائر الأحياء وامتيازه عليها. إنما هو لسجاياه السامية، ولاستعداداته الفطرية الجامعة، ولعبوديته الكلية، ولسعة دوائر وجوده[10].

إن الإنسان في نظر الإسلام يستحق هذه الكرامة الإنسانية بمقتضى كونه إنسانا لا للونه ولا لجنسه، ولا لكون شريفا، أو ذا حسب، أو ذا جاه. وإنما لكونه إنسانا فقط.

قال تعالى: **[ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا] [سورة الإسراء. الآية 70]**.

وهذا التكريم ليس خاصا بإنسان دون آخر، ولا بلون دون آخر. إنما الجميع سواء في حق التكريم الإنساني[11].

يقول الإمام النورسي ـــ رحمه الله: "ثبت بالاستقراء التام، وتحريات العلوم وأبحاثها: أن الإنسان هو أكرم المخلوقات وأشرفها. لأنه يستطيع أن يكشف بعقله عن مراتب

الأسباب الظاهرية في خلق الكائنات ونتائجها، ويعرف العلاقات بين العلل والأسباب المتسلسلة. كل ذلك يثبت أن الإنسان أشرف مخلوق وأكرمه"[12].

وليست هذه أو تلك دعاوى كما يريدون أن يصوروا. إنما هو الإسلام الذي عرف للإنسان كرامته، وأدميته وبشريته بالصورة المثلى التي يجب أن تكون.

وقد يكون واضحاً. أن آيات القرآن الكريم. حفلت بذكر الإنسان والناس والبشر في كثير من المواضع والمواقع.

وأنت إذا تأملت تلك المواضع والمواقع. وجدت أن القرآن الكريم. يخص من هذا الكون مخلوقا هو الإنسان. فيتحدث عنه مرات كثيرة. بل يخصه بالمخاطبة. لأنه هو المقصود. ولكنه في الوقت نفسه يشير إلى موقعه من هذا الكون.

فالإنسان أولا: نوع من أنواع أخرى في هذا الكون. يشترك معها في أمور، ثم يتميز عنها. فهو مخلوق من تراب في الأصل.

قال تعالى: **[إن مثل عيسى عن الله كمثل آدم خلقه من تراب] [سورة آلا عمران. الآية 59]**.

والإنسان ثانيا: نوع من أنواع الحيوانات. يدخل في تصنيفها، ويشترك معها في أمور.

قال تعالى: **[والله خلق كل دابة من ماء. فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع] [سورة النور: الآية 45]**.

والإنسان ثالثا: نوع متميز عن الحيوان. كما يبدو في قوله تعالى فى: **[ثم أنشأناه خلقا آخر] [سورة المؤمنون: الآية 114]**. وذلك من جهة خلقه وتكوينه الجسمي.

والإنسان رابعا: يتميز بجانب روح: أشارت إليه آيات كثيرة. كقوله تعالى: **[فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين] [سورة الحجر. الآية: 29]**.

وفى القرآن الكريم بعد هذا آيات كثيرة. في ذكر نفسية الإنسان و ما يميل إليه. ومن زينة الدنيا وشهواتها، وما يضطرب فيها. من مختلف المشاعر والعواطف. وما فيه من الصراع الدائم الذي ابتدأ منذ قصة آدم. ولا ينتهي إلا بانتهاء قصة الإنسان كلها على هذه الأرض[13].

وفى القرآن الكريم آيات أخرى لتوجيه الإنسان في ميوله ومشاعره، وحركته في الحياة. والإنسان في عقيدة القرآن الكريم هو الخليفة المسئول بين جميع ما خلق الله. يدين بعقله فيما رأى وسمع، ويدين بوجدانه فيما طواه الغيب. مما لا تدركه الأبصار والأسماع.

فالإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة تضعه فوق مستوى الكائنات الحية جميعا. في هذا الكوكب الذي أقامه الله تعالى فيه. ليكون خليفة مسئولا.

وقد استعمل القرآن الكريم لفظ الإنسان في كثير من الآيات. فقال تعالى في **[ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون]. [سورة الحجر: الآية 26]**.

وقال تعالى: **[ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين] [سورة الحجرة: الآية 26]**.

وقال تعالى: **[خلق الإنسان من طين] [سورة السجدة: الآية 17]**.

وكلمة الناس الدالة على الجنس البشرى. يتكرر استعمالها في آيات متعددة، وكثير منها ورد خطابا للبشر عموما. كقوله تعالى: **[يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا..] [سورة الحجرات: الآية 13]**.

وكلمة الناس استعملت في القرآن الكريم بمعنى الجنس البشرى عموما. لا بمعنى المسلمين أو العرب. بدليل قوله تعالى في الآيات التالية. مما لا يمكن حمله إلا على الناس عموما. قال تعالى: **[إن الله لذو فضل على الناس] [سورة غافر: الآية 61]**.

وقال تعالى: **[يسألونك عن الآهلة قل هي مواقيت للناس] [سورة البقرة: الآية 189]**.

وقال تعالى: **[وتلك الأيام نداولها بين الناس] [سورة آل عمران: الآية 140]**.

وقال تعالى: **[قل يأيها الناس إني رسول الله عليكم جميعا] [سورة الأعراف: الآية 158]**.

فالقرآن الكريم ـــ كما ترى لا يخاطب قومية معينة، ولا شعبا معينا. بل يخاطب الإنسان، ويتحدث عن الأمم: **[كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم] [سورة الرعد: الآية 3]**.

واستعمل القرآن الكريم كذلك كلمة البشر. للدلالة على الجنس البشرى الواحد. وقد استعملت هذه الكلمة في أكثر من موضع. قال تعالى: **[وإذ قال ربك لملائكة إنى خالق بشرا] [سورة الحجر: الآية 28]** وقال تعالى: **[ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنشرون] [سورة الروم: الآية 20]**.

والآية القرآنية: **[يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا] [سورة الحجرات: الآية 13]** تشر في وضوح إلى أن البشرية تتألف من مجتمعات قبلية وشعوب أو أقوام. وكلمة الناس هى تعبير عن الجنس العام يشملها جميعا.

والآية تشير أيضا إلى اتجاه تطور البشرية: أسراً و قبائل وشعوبا. في اتجاه التعارف. وهو المعرفة المتبادلة من جميع الأطراف.

إن الإسلام الحنيف جاء ـــ كما يفهم من الآيات القرآنية ـــ ليقيم بين البشر جميعا رابطة الإنسانية القائمة على ارتباط البشر جميعا بالله الخالق. جل وعلا ـــ فهم جميعا عباد الله. فالاتجاه الإنساني في تعاليم الإسلام وتوجيهاته.

لقد جاء الإسلام ليضئ آفاق الحياة أمام الناس، ويمحو من دنياهم الظلام، والضلال.

وكان من عناية الله بالإنسان. أن استخلفه على أرضه، واستلهمه أسرارها، وهيأه بالاستعدادات والقدرات. التي تمكنه من القيام بواجبه، والاضطلاع بمهامه.

ولقد تضافرت رسالات السماء. منذ أن استنارت الأرض بنورها. على تحرير ساحة الحياة[14].

وإذا كان الإسلام يحترم الغرب والشرق من واقع المعاني الإنسانية. فإن الإسلام الحنيف من جهة أخرى جامع للرسالات كلها، مشتمل على غاياتها ولبها.

فالإيمان بالرسل السابقين جزء من العقيدة الإسلامية. فالإسلام إذا هو الدين الجامع. وهو آخر أدوار الرسالة الإلهية، وهو الجامع بينها.

والإسلام كذلك دين الوحدة الإنسانية الجامعة. فالناس جميعا سواء. بالنسبة للأحكام الإسلامية. وهو يقرر الوحدة بأصل التكوين. فيقول سبحانه وتعالى: **[وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا] [سورة يونس: الآية 19]**.

ويقول سبحانه وتعالى: **[كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين] [سورة البقرة: 213]**.

فكان الاتحاد في أصل التكوين من حيث اتحاد الغرائز، والاتجاهات الإنسانية سببا في الاختلاف. لأن آحاد الناس يتنازعون استجابة لغرائز كل واحد منهم. إذ إنه حيث استجاب كل واحد لغرائزه تصطدم إرادته مع إرادة الآخر. الذي استجاب هو أيضا لغرائزه. فيكون التناحر. حيث تصطدم الشهوات، وتتنازع الإرادات.

وكل يحب لنفسه الاستيلاء على أكبر قدر من المطالب، والوصول إلى أقصى ما يحب من الغايات. ولذلك كان لابد من فاصل يرسم الحدود، ويقيد الغايات لتتلاقى في خط مستقيم. من غير انحراف، ولا تقاطع. بل يكون لكل خط مواز لخط أخيه. وكل الخطوط تنتهي إلى خدمة الجماعة الإنسانية. وبذلك تتحدد الغايات والأهداف[15].

لقد جعل الإسلام اختلاف الناس شعوبا وقبائل للتعارف والتعاون. لا للتباغض والتنازع. ولذلك قال سبحانه: **[يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير] [سورة الحجرات: الآية 13]**.

فاختلاف الشعوب له غاية جليلة أرادها الله سبحانه وتعالى. وهو التعارف. وهذا التعارف له ظواهر:

ـــ الظاهرة الأولى: اللقاء على مودة وتراحم في أمن وسلام.

ـــ والظاهرة الثانية: التعاون على أن ينتفع الإنسان بكل خيرات الأرض.

ـــ والظاهرة الثالثة: تكريم الإنسان في هذه الأرض[16].

وقد لا يخفى على أهل العلم: أن التعارف يقود إلى التعاون المستمر البناء الذي يفيد الإنسانية كلها.

إن منهج القرآن يعلم المسلمين، ويؤكد عليهم: إن البشرية مدعوة بأمر ربها ـــ جل شأنه ـــ للتعارف، والتعايش. وفق القيم، والمعايير الإسلامية على اختلاف أجناسهم، وأعراقهم وأديانهم، وألوانهم.

وإن إتيان الحق، ومجانبة الباطل. هو أساس التنافس بينهم. وهو أساس معيار القرب والبعد من تقوى الله ومرضاته. قال تعالى: **[يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكركم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير] [سورة الحجرات. الآية 3]**.

– إن الإسلام الحنيف يؤكد أن أساس دين الله يقوم على إقامة العدل بين الناس والعدل حق للناس أجمعين[17].

وأساس الأحكام الإسلامية المنظمة لعلاقات الناس جميعا بعضهم مع بعض أحادا وجماعات هو العدل. قال تعالى: **[إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون] [سورة النحل: الآية 90]**.

– إن الإسلام يقر بمشروعية التدافع الإنساني. ومنهجية التدافع بين الناس قائمة على أساس التنافس في جلب المصالح، ودرء المفاسد، مما يوفر للمجتمعات الإنسانية الأمن والاستقرار.

وهذا مؤكد في قوله تعالى: **[ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين] [سورة البقرة: الآية 143]**.

ومن جهة أخرى. فإن التدافع بين الناس يؤدى إلى حماية حريات الناس في معتقداتهم، وأنماط حياتهم، وصيانة معابدهم على اختلاف مللهم، وهذا في قوله تعالى: **[ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا] [سورة الحج: الآية 40]**.

ـــ ومن مفاخر الفقه السياسي في الإسلام، أن الشرائع جاءت لتحقيق مصالح العباد حيث إن مبناها يقوم على تحقيق المصالح، ودفع المفاسد.

ـــ إن مبادئ الإسلام وقيمه تعلم المسلمين وتؤكد عليهم. احترام وتقدير كل عطاء خير في ميادين القيم والسلوكيات، وفى ميادين الميادين، والوسائل والمهارات.

ـــ إن الإسلام مثلما وضع ثوابت ومنطلقات، وقدم قيما ومبادئ كلية. لضبط أدبيات ومقومات التعايش البشرى، والتعارف الإنساني. فإنه وضع أيضا ثوابت ومنطلقات، وقدم قواعد وأسس لضبط حركة مصالح الناس، وقدم قيما وأدبيات لإحكام سيولة تبادل المنافع بين المجتمعات الإنسانية في إطار التعايش والتعارف[18].

ـــ إن الإسلام باعتباره منهجا حضاريا قد جعل مقاصد الحضارية المادية والقيمية، من أجل تحقيق كليات مقاصد الشريعة الإسلامية المتمثلة في الضرورات الإنسانية التالية وحاجاتها:

حفظ الناس. وحفظ الدين وحفظ العقل، وحفظ العرض، وحفظ المال.

ـــ إن المسلمين وفق الثوابت والمنطلقات ـــ التي أكدها الإمام النورسي في كليات رسائل النور يجدون أنفسهم في كل وقت. مؤهلين لأداء مهمتهم، ومساهمتهم الإيجابية الفاعلة في معترك التدافع الإنساني. لإنهاء حالة الذعر: التي تحيط بالناس، وإزالة عوامل الاضطراب، والجشع والاصطراع السياسي، والاقتصادي بين الأمم، وضبط حركة التدافع الإنساني، وإقامة موازين القسط للتعايش والتعاون البشرى، .بما يرتقى .بمنهجية التبادل، والتكامل الثقافي، ويحقق للناس تطلعاتهم لحياة إنسانية آمنة مطمئنة. تنعم بالأمن والاستقرار، والعدل والسلام.

ومن المؤكد أن علاقة الإسلام بالمجتمعات الأخرى هى علاقة إنسانية. تدفعها الرغبة في العيش الكريم، والسلام الشامل بين جميع الناس. سيما وأن المسلمين يملكون حضارة هى في أساسها ومقوماتها حضارة إنسانية.

يقول الإمام النورسي: "إن عداء الإنسان لأخيه الإنسان ظلم في نظر الحقيقة. والعداء ظلم في نظر الحكمة[19].

وإن وجود أقليات إسلامية في المجتمعات الأخرى، وفى الغرب بالذات. يساعد المسلمين على تحقيق حوار حضاري.

وذلك بأن تكون الأقليات عنصرا فاعلا في النسيج الاجتماعي في كل بلد تعيش فيه هذه الأقليات. وذلك من خلال الإخلاص في العمل، والصدق في القول والوعد، والمبادرة إلى فعل الخير للآخرين، وإشاعة روح المودة في المجتمع الذي يعيشون فيه، واحترام عقائد الآخرين[20].

كذلك المراكز الثقافية الإسلامية. تؤدى دورا كبيرا في تقريب وجهات النظر.

ولابد أن نمد يد الصداقة لمؤسسات ومعاهد وجامعات في الغرب تعنى بدراسة التراث الإسلامي وطريقة التفكير لدى المسلمين. مثل جامعة هارفارد، وجامعة بيل في أمريكا، وكمبردج، وأكسفورد، وجامعة لندن في بريطانيا، والسوربون، ومعهد العالم العربي في فرنسا.

وقد ظهر عدد من القيادات الغربية يتحدثون عن الإسلام، ويحاولون أن يتحدثوا عنه بإنصاف.

ولهذا كان على أمتنا الإسلامية. أن تنظر إلى الغرب والشرق من خلال فقه العلاقات الدولية، وفقه المصالح الإنسانية المشتركة، وفقه التعايش البشرى، مع الاعتراف بالتنوع في الأديان، والأعراق، والأجناس.

فى إطار التدافع والتنافس الإنساني لتحقيق المصالح، وصرف الفساد عن الأرض: وفق منهجية السياسات، الشرعية. وفقه الأولويات، وفقه الموازنات، وفقه المصالح، وفقه الضرورات، وفقه الرخص والعزائم وغيرها[21].

وإذا تم النظر إلى غير المسلمين من خلال هذه المعالم. أدركنا أن هناك عناصر اتفاق وإحساس مشترك. يكونان في النهاية. بنية أخلاقية تحتية. لحركة المجتمع الإنساني.

الهوامش

(1) راجع الدكتور أحمد كمال أبو المجد، الاتجاه إلى حوار إسلامى غربى، جريدة الحياة، عدد الحياة يوم الجمعة 21 مارس 1997م. ص.

(2) أنظر: إليكسى جورافسكى، الإسلام والمسيحية، ص 18، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1996م.

(3) الدكتور: حامد أحمد الرفاعى، الإسلام والنظام العالمى الجديد، ص 67 ــ 69، بتصرف واختصار، سلسلة دعوة الحق، رقم 146 ط رابطة العالم الإسلامى. مكة المكرمة صفر 1415هـ.

(4) بديع الزمان سعيد النورسى. المثنوى العربى النورى، ص 448، تحقيق إحسان قاسم الصالحى، ط دار شوزلر. استنابول.

(5) الدكتور حامد أحمد الرفاعى، الإسلام والنظام العالمى الجديد، ص 144.

(6) الإمام النورسى، اللمعات، ص 176 ــ 178.

(7) اليكسى جورافسكى، الإسلام والمسيحية ص 27.

(8) سعيد عطية أبو عالى، الإسلام والغرب حوار لا صراع ص 13 ــ 15 ط، كتيب المجلة العربية، رقم 1 محرم 1418هـ الرياضة.

(9) المصدر السابق، ص 15.

(10) الإمام النورسى، الشعاعات، ص 278 ــ 279.

(11) الدكتور عبد الرحمن عمر الماحى، دعائم العلاقات الإنسانية فى الإسلام، مجلة منار الإسلام، عدد صفر 1418هـ، دولة الإمارات، أبو ظبى.

(12) الإمام النورسى، صيقل الإسلام، ص 503.

(13) الأستاذ محمد المبارك، العقيدة فى القرآن.

(14) الدكتور أحمد، معالم مضيئة فى القرآن الكريم ص 140، تحت الطبع.

(15) الشيخ، محمد أبو زهرة، المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام، ج 2، ص 21، ط مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر 1391هـ.

(16) المصدر السابق، ج 2، ص 22.

(17) الشيخ محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية فى الإسلام، ص 14، ط دار الفكر العربى.

(18) الدكتور حامد أحمد الرفاعي الإسلام والنظام العالمى الجديد، ص 129 ــ 134.

(19) الإمام النورسى، المكتوبات ص 340.

(20) سعيد عطية أبو عالى الإسلام والغرب ص 28 ــ 30.

(21) الدكتور حامد أحمد الرفاعى، الإسلام والنظام العالمى الجديد، ص 75.